مجلة العميد

Journal Homepage: https://alameed.alameedcenter.iq/
ISSN: 2227-0345 (Print) ISSN 2311-9152 (Online)

مجالات التفسير لدى أهل البيت عليهم السلام

تحسين عبد الرحمن لفتة[1]

١-جامعة وارث الانبياء/ كلية العلوم الاسلامية/ قسم الفقه واصوله، العراق؛ rool222r@yahoo.com
دكتوراه في الفقه والمعارف الإسلامية/ مدرس

تاريخ الاستلام:
٢٠٢٠/٦/٥

تاريخ القبول:
٢٠٢٠/١٢/١٣

تاريخ النشر:
٢٠٢٢/٦/٣٠

الكلمـات المفتاحيـة:
مجالات التفسير،
أهل البيت، التفسير المأثور.

الملخص:

المقال تناول موضوعاً ذا صلة بالتفسير المأثور عن أهل البيت عليهم السلام، وهو المجالات التي ولجها أهل البيت عند تفسيرهم القرآن. في البداية سردنا ما ورد عن بعض ممّن كتب في هذا الموضوع ثمّ أبدينا رأينا مع تحليل انتهى إلى تبرير مجالات التفسير التي اختارها أهل البيت. سعياً منا للكشف عن بعض جوانب التفسير الأثري الوارد عن أهل البيت.

المجلد (١١) العدد (٤٢)

DOI:
10.55568/amd.v11i42.159-180

CC BY NC

Explication Fields of Ahalalbayt

Tahseen Abidalrahman Lafta [1]

1- University of Warith Al-Anbiyaa, College of Islamic Sciences, Dept of Faqa and its Principles, Iraq; rool222r@yahoo.com

PhD in Faqa and Islamic Knowledge / Lecturer

Received:
5/6/2020
Accepted:
13/12/2020
Published:
30/6/2022

Keywords:
fields of exegeses, Ahalalbayt, narration, transmitted, exegeses.

Al-Ameed Journal

Volume (11)
Issue (42)

DOI:
10.55568/amd.v11i42.159-180

Abstract

The study deals with the fields of exegeses narrated by Ahalalbayt (PBUT).It is the field that Ahalalbayt offers to all in explicating the Glorious Quran . At the very outset , the research article traces what certain sources do in such a concern , then the article manifests its stance and shows a kind of analysis justifying the fields of explication Ahalalbayt chooses to focus . It is an attempt to uncover specific angles of the authentic explication done Ahalalbayt .

المقدمة

إنّ التفسير من أهمّ ما أثرناه عن ائمة الشيعة من تراث علمي. وحجم تركتهم في هذا المضمار يقدّر بآلاف الروايات، ونسبته إلى باقي تركتهم نسبة كبيرة جداً، وذلك واضح من خلال النظر إلى التفاسير المدوّنة على أساس المنهج الأثري، مثل (تفسير البرهان) للبحراني. ما يعني أنّ دراسته تحظى بأهمية كبيرة؛ باعتباره يشكّل مادة ضخمة من المواد التي ينبغي دراستها للوقوف على أبعاد المذهب والمدرسة التي أسسها أئمة أهل البيت عليهم السلام وكذلك رفع الإبهامات التي تحوم بأفكارهم وما كانوا يسعون لتحقيقه.

دراسة الآثار المذكورة لا تقتصر أهميتها على حجمها بل موضوعها – وهو القرآن الكريم – فهو أهمّ ما يمكن دراسته عن الاسلام عموماً، إذ يشكّل النصّ الأساس لهذا الدين والدستور العام لعشرات المذاهب الاسلامية ولأكثر من مليار انسان يعيش حالياً وأضعاف مضاعفة من البشر سبق أن عاشوا متبعين هذا المنهج في خمسة عشر قرناً، ولمليارات أخرى من البشر ستولد وتعيش متخذة الإسلام دستوراً لها.

انّ دراسة التفسير المأثور عن أهل البيت عليهم السلام ذات أبعاد كثيرة، ويمكن النظر إلى تفاسيرهم من زوايا مختلفة مثل: المنهج، والمسائل التربوية، والمسائل الفقهية، وكثير غيرها. ولم ينل هذا التفسير الدراسات الكافية والوافية بل جلّ ما نلمسه هو النظرة القدسية للتفسير دون البحث عن كثير من زواياه التي يمكن أن ينظر إليها نظرة عقلية لمعرفة مغزاها وفلسفتها، وهناك الكثير من الأبعاد ما زالت تنتظر الدراسة وإبداء الرأي فيها.

لقد تناولنا مناهج هذا التفسير في مقال آخر تحت عنوان (مناهج التفسير لدى أهل البيت عليهم السلام)[1] والذي نتوخّاه هنا هو تحديد مجالات التفسير، والمواضيع التي اهتمّ بها أهل البيت عليهم السلام في القرآن وسعى لبيانها، فهل اقتصرت المجالات على إيضاح الإبهامات اللغوية وشأن النزول أم تعدتها لتشمل أموراً أخرى؟ وهل هناك فرق بين المجالات التي اختارها أهل البيت عليهم السلام والمجالات التي اختارها باقي المفسرين؟

تحديد مجالات تفسير أهل البيت عليهم السلام في حقيقته يكشف اهتمامهم بتلك المجالات ويحكي الفلسفة التي اعتمدوها في تبليغ الدين ونشره، مضافاً إلى تعميق النظرة المتجزئة لهم، أي نظرتنا إليهم

١ سبق لنا أن نشرنا المقال المذكور في مجلة التوحيد، العدد ١١٩، ص ١٩٧ -٢٢٢، ثمّ نشرته مواقع ومجلات أخرى.

كمفسرين ذوي توجّهات خاصة مضافاً إلى كونهم فقهاء أو أئمة مذهب لهم أتباع كثيرون على مرّ عصور، أو غير ذلك من زوايا وأبعاد تحدّد شخصياتهم، وتكشف عمقها وما كانت تطمح إليه. مضافاً إلى فهمنا للقرآن من وجهة نظرهم.

نغضّ النظر عن بحوث أولية عامة مثل المعنى اللغوي والتعريف الاصطلاحي للتفسير وجامعية التعاريف وعدم جامعيتها وباقي البحوث ذات الصلة بهذا الموضوع، إذ نعتبرها من الفروض التي تناقش في محلّ آخر، أمّا المراد من مجالات التفسير فهو المواضيع التي يسعى المفسّر أن يصب بحوثه فيها ويركّز عليها.

إنّ المجالات تخضع لأمور عدّة قد يكون من أهمّها اهتمامات المفسّر، فالمفسر إذا كان يعتمد منهج التفسير الموضوعي فإنه يسعى لأن يصب بحثه في المجالات ذات الصلة بالموضوع ويترك الباقي، وإذا كان المفسر يتبع المنهج الترتيبي فإنّه يسعى لأن يركّز على الآيات وفق ترتيبها، وإذا تناول بحثاً إضافياً فلا بدّ أن يكون ذا صلة ببعض الآيات لغرض تسليط الضوء عليها. وذلك مثل صاحب الميزان الذي تطرّق عند تفسيره للآيات لبعض البحوث التي تدخل في نطاق الآيات التي في صدد تفسيرها ويترك الكثير من البحوث التي لا تمت الى الآيات بصلة، أو ذات صلة لكن يتركها. وذلك كله يخضع لأمور غير قليلة منها اهتمامه بأمور دون أخرى، أو توجّهاته العلمية والمذهبية تدعوه للتركيز على بحوث دون أخرى.

وفي هذا المضمار نسعى أولاً لبيان المجالات التي نشط فيها المفسرون ثمّ نتطرّق للآراء التي تناولت تحديد مجالات تفسير أهل البيت عليهم السلام، وبعد ذلك نخرج بنتائج البحث التي تحكي اهتمام العترة بها، الأمر الذي دعاهم للتركيز عليها دون غيرها. مستعينين في ذلك بالمنهج الوصفي والتحليلي لغرض حيادية البحث والخروج بنتائج يحكم بها العقل مع غضّ النظر عن انتماء الباحث المذهبي.

على أنّ المراد من أهل البيت عليهم السلام في هذا المقال هو الرسول صلى الله عليه وآله وخصوصاً أئمة الشيعة المعروفين، أي المنظور الشيعي لهذا الاصطلاح، ولا يشمل مثل نساء النبي كما هو المنظور إليه في هذا الاصطلاح عند فرق أهل السنة.

المجالات التفسيرية لدى المفسرين

هناك عدّة مجالات نشط المفسرون في بيانها والتركيز عليها أكثر، أهمها هي:

١ – الآيات المبهمة والغامضة، كألفاظ أو كتراكيب، ولأجل هذا سعى المفسرون لرفع الإبهام والغموض الذي يحفّ ببعض ألفاظ القرآن وآياته، سواء كان الإبهام ناشئاً عن اللفظ نفسه، وكونه ممّا يجهله أكثر الناس، أو أنّ الإبهام والغموض ناشىء عن الفاصل الزمني الذي مضى على استخدام اللفظ واحتمال هجرانه وما شابه ذلك، أو أنّ الإبهام نشأ بسبب تركيب بعض الألفاظ مع ألفاظ أخرى لا المفردات نفسها، أو ناشئاً عن بيان الآيات لمضامين علمية أو فلسفية لا يدركها عامة الناس، أو عوامل أخرى تؤدّي إلى الإبهام وتشويش ذهن القارىء للقرآن. وهي جميعها تشترك في الغموض، فيهمّ المفسّر بإيضاحها.

إنّ سوراً مثل سورة النازعات والمرسلات ومجمل سور الجزء الثلاثين تضمّنت مفردات غامضة وما باتت مستعملة اليوم والغموض فيها واضح فكانت تستدعي من المفسرين التفسير ورفع الإبهام.

وقد أثرنا عن بعض العلماء التأليف في ما يسمى بغريب القرآن، وهي عبارة عن معاجم توضح معاني الألفاظ الغريبة والتي بحاجة إلى تأمّل وتفسير، واشهر ما دوّن في هذا المجال هو (مفردات الراغب الاصفهاني). وبرغم أنّ المفردات التي انتقاها الاصفهاني لم تقتصر على الغريب منها إلاّ أنّ الألفاظ الغريبة شكّلت جزءًا غير صغير من مجمل المفردات. وهناك عدد غير قليل من المؤلّفات في غريب القرآن وتحمل في عنواناتها مفردة (غريب). ويبدو أنّ آخرها وأشملها هو (مختصر البيان في غريب القرآن) لعادل البدري، وهو معاصر، باعتباره شمل مجمل ما كتب في هذا المضمار من الشيعة والسنة، المتقدمين منهم والمتأخرين، مضافاً إلى كونه مقارناً بين ما ورد عن أكثر الطوائف الإسلامية.

وأثرنا مئات التفاسير التي تسعى لتفسير تراكيب القرآن وعباراته، كأهمّ هدف يتوخّاه المفسر، وقد تبوب هذه التفاسير إلى عدّة أبواب وتصنّف إلى أصناف عديدة، كالتفاسير الشاملة أو الجامعة التي فسرت جميع القرآن، والتفاسير غير الشاملة، والتفاسير الموضوعية، والتفاسير الترتيبية، والتفاسير الفقهية المختصة بآيات الأحكام، والتفاسير العلمية والأدبية وغير ذلك من أصناف.

ويعتبر رفع هكذا ابهامات – على مستوى الألفاظ والتراكيب – أهمّ شأن ينشط فيه المفسّر.

٢ – شأن النزول، ومجمل التفاسير وبخاصة الترتيبية منها تناولت موضوع شأن نزول الآيات والسور. ولا شكّ في دورها في إيضاح المراد من الآيات والسور، ودون معرفة شأن النزول سيكتنف الغموض الكثير من الآيات. ولذلك كان تناول هذا الجانب من اهتمامات المفسرين. ومجمل التفاسير التي اعتمدت منهج التفسير بالماثور تناولت هذا الجانب، كما يلاحظ في مثل (الدر المنثور) لأهل السنة و (البرهان) عند الشيعة. بالطبع، والأمر غير مقتصر على التفسير المأثور بل باقي التفاسير تستفيد من شأن النزول لتفسير الآيات.

٣ – بيان الناسخ والمنسوخ، وتحديد المكي والمدني، والمحكم والمتشابه، وما شابه ذلك من الشؤون التي قد تعود إلى علوم القرآن لكن المفسرين يحشرونها في تفاسيرهم؛ لأثرها في رفع الغموض والإبهام الذي يكتنف بعض الآيات، وبخاصة تلك التي يبدو منها في تناف أو تضاد مع آيات أخرى. وقد ورد تناول هذا الموضوع في أكثر التفاسير مهما اعتمدت من مناهج.

٤ – تحديد فضائل السور وفوائدها الدنيوية والأخروية. وقد لا يدخل هذا في مجال عمل المفسرين بوصفهم مفسرين إلاّ أنّهم كثيراً ما يدرجونه ذيل السورة المفسرة؛ وذلك تتميماً لفائدة التفسير وتحريضاً للمؤمنين على قراءتها وتداولها وحفظها. وهذا الجانب نجده في التفاسير التي تعتمد منهج التفسير بالمأثور أكثر من غيرها من التفاسير التي تعتمد مناهج أخرى.

آراء في مجالات التفسير لدى أهل البيت ﷺ

دراسة التفسير المأثور عن أهل البيت ﷺ باستخدام المنهج التوصيفي يكشف عن وجود عدّة مجالات نشط أهل البيت في بيانها، وهذا ما عثرنا عليه من آراء وردت عن بعض من كتب في هذا المضمار، نتناول الآراء هنا:

الرأي الأول:

ورد عن هدى أبو طبرة تقسيمها الروايات التفسيرية على النحو الآتي:

١ – الروايات التي تكشف عن أسباب النزول.

٢ – الروايات التي تحدد أول وآخر ما نزل من القرآن.

٣ – الروايات التي تحدد الناسخ والمنسوخ.

٤ – الروايات التي تحدد العام والخاص من القرآن.

٥ – الروايات التي تحدد المحكم والمتشابه.

٦ – الروايات التي تفسر ما أبهم عن الناس وقصر فهمه عليهم، مثل تفسير الاستطاعة للحج وبعض آيات الأحكام.[٢]

الرأي الثاني:

يقسم محمود رجبي[٣] روايات أهل البيت عليهم السلام الواردة في هذا المجال إلى ثلاثة أقسام، هي:

١ – الروايات المبيّنة لمعاني المفردات ومصاديقها، مثل الرواية الواردة عن الإمام الجواد عليه السلام في تفسير مفردة (الموقوذة) و (المتردية) و (النطيحة) التي جاءت في الآية الثالثة من سورة المائدة. فقد ورد عنه: قال: "المنخنقة: التي انخنقت بخناقها حتى تموت، والموقوذة: التي مرضت ووقذها المرض حتى لم تكن بها حركة، والمتردية، التي تتردّى من مكان مرتفع إلى أسفل، أو تتردّى من جبل، أو في بئر فتموت، والنطيحة: التي تنطحها بهيمة أخرى فتموت..."[٤]

٢ – الروايات التي تبيّن مضمون الآيات، وهي الروايات التي تورد إيضاحاً للآية وتكشف عن معانيها ومضامينها كجملة دون النظر إلى كلّ من مفرداتها، مثل الرواية التالية التي وردت في تفسير الآية: (فاذكروا اسم الله عليها صوافّ فاذا وجبت جنوبها...)[٥] فقد جاء في تفسيرها عن أبي عبد الله عليه السلام: "ذلك حين تصفّ للنحر، تربط يديها ما بين الخفّ والركبة، ووجوب جنوبها إذا وقعت على الأرض".[٦]

٣ – الروايات التي تبيّن بطون الآيات وتأويلاتها، وهي الآيات التي تبيّن مصاديق الآيات وانطباقاتها على الموارد الخارجية في غير عهد التنزيل، مثل الرواية التالية:

عن عبد الله بن سنان، قال: أتيت ابا عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، ما معنى قول الله عزّ وجلّ: (ثم ليقضوا تفثهم)؟ قال: "أخذ الشارب وقصّ الأظفار، وما أشبه ذلك". قال: قلت: جعلت فداك، فإنّ ذريحاً المحاربي حدّثني عنك بحديث أنّك قلت: (ليقضوا تفثهم) لقاء الإمام (وليوفوا نذورهم) تلك المناسك؟ قال: "صدق ذريح وصدقت، انّ القرآن له ظاهر وباطن، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح".[٧]

٢ أبو طبرة، هدى محمد جاسم، المنهج الأثري، ص ٩٤ – ١٠٢.
٣ انظر: رجبي، محمود، روش تفسير قرآن، ص ٢٢٣ – ٢٢٧. (بالفارسية)
٤ البحراني، السيد هاشم، البرهان، ج٢، ص ٢٢٠، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦٥، ص١٤٧.
٥ الحج: ٣٦.
٦ البحراني، هاشم، البرهان، ج٣، ص ٨٨٤، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ٣٠١.
٧ البحراني، هاشم، البرهان، ج٣، ص٨٧٧، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٨٩، ص٨٣.

الرأي الثالث

السيد حسين تقوي دهاقاني ضمن شرحه لمنهج تفسير القرآن بالقرآن، يؤكّد أنّ هذا المنهج هو أحد المناهج التي استخدمها أهل البيت ﷺ في تفسيرهم ويذكر الأمور الآتية أساليبَ تدخل في اطار هذا المنهج، وهي في الحقيقة تنقل مجالات نشط فيها أهل البيت ﷺ ضمن تفسيرهم:

١ – تحديد الناسخ والمنسوخ.

٢ – إرجاع الآيات المتشابهة إلى المحكمات.

٣ – تحديد المطلق والمقيد من الآيات.

٤ – تحديد ترتيب نزول الآيات.

٥ – تحديد الوجوه والنظائر.[٨]

٦ – تحديد شأن النزول. يذكر هذا اسلوباً من الأساليب التي يستخدمها أهل البيت ﷺ في مجال التفسير. وهو في الحقيقة يحكي مجالاً من مجالات التفسير.[٩]

٧ – التأويل والتفسير الباطني. يذكر هذا أسلوبا من الأساليب التي استخدمها أهل البيت ﷺ في تفسيرهم كذلك. وهو كالسابق يعدّ مجالاً آخر من مجالات تفسير أهل البيت.

وفي موضع آخر من كتابه يحصر دور أهل البيت ﷺ تجاه القرآن بأربعة أدوار، وهي تحكي في حقيقتها مجالاً ولجه أهل البيت ﷺ. يسردها ويوضحها على النحو الآتي:

الدور التكميلي: وهو خاص بالآيات التي وردت بنحو كلي، فيهمّ أهل البيت ببيان جزئياتها، كما في مثل الآية: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً)[١٠] ويرى دور المعصومين ﷺ هنا في بيان جزئيات الحج.

ويدخل ضمن هذا الدور بيان المطلقات والمقيدات من الآيات الكريمة.

الدور التأسيسي: وهذا مختص بالموارد التي تفتقد النص من القرآن، مثل حكم رجم المحصنة والأحكام ذات الصلة بالدية وقتل الخطأ والعمد.

الدور التفسيري: وهو خاص بالآيات التي بحاجة إلى إيضاح المبهمات والملابسات التي تحوم حولها، وكذلك تحديد الناسخ والمنسوخ منها.

٨ انظر: دهقاني، سيد حسين تقوي، روش شناسي أهل بيت، ص ٩٧ – ١١٣. (بالفارسية)
٩ انظر: المصدر السابق، ص ٢١٩ – ٢٣٠.
١٠ سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

ويدخل ضمن هذا الدور بيان المفردات والتراكيب التي أريد منها في القرآن غير ما يراد منها في اللغة، وهو ما يطلق عليه بالحقيقة الشرعية أو الدينية.

الدور التعليمي: وهو دور شامل لجميع آيات القرآن، فمن الطبيعي بوصفهم أئمة للمسلمين أن ينهضوا بدور تعليم القرآن. لكن لم يوضّح هذه الأدوار بنحو واف.[١١]

الرأي الرابع

وهو ما تلقّيناه من الاستاذ بهجت بور في دروسه، إذ قسم الروايات التفسيرية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام إلى الأقسام الاتية:

١ – روايات التنزيل، وهي الروايات التي تكشف عن شأن نزول الآية والظروف والملابسات الاجتماعية والتاريخية التي نزلت الآية في ظلها، مثل الروايات التي حكت ملابسات نزول آية الظهار، كالرواية الاتية:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: "انّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: ان امرأة من المسلمين أتت رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت له: يا رسول الله، انّ فلاناً زوجي قد نثرت له بطني واعنته على دنياه وآخرته، فلم يرَ مني مكروهاً، وأنا أشكوه إلى الله عزّ وجلّ وإليك. قال: ممّا تشتكينه؟ قالت له: انّه قال لي اليوم: أنت عليّ حرام كظهر أمّي، وقد أخرجني من منزلي، فانظر في أمري.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنزل الله عليّ كتاباً أقضي به بينك وبين زوجك، وأنا أكره ان أكون من المتكلّفين، فجعلت تبكي وتشتكي ما بها إلى الله ورسوله، وانصرفت، فسمع الله عزّ وجلّ محاورتها لرسول الله صلى الله عليه وآله في زوجها وما شكت إليه، فأنزل الله عزّ وجلّ قرآناً: (بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما) ...".[١٢]

٢ – الروايات التفسيرية، ويراد منها الروايات التي بيّنت ما أبهم واشتبه في فهمه من الآيات، وكذا الشبهات الواردة في مجال الآيات وردّها وما شابه ذلك، مثل الروايات التي بيّنت المراد من الأوامر القرآنية وما إذا كانت استحبابية أو وجوبية، والروايات التي بينت كيفية الوضوء من خلال التفسير الدقيق للآيات ذات الصلة وبالاستعانة باللغة العربية التي كانوا ملمّين بها، وذلك مثل الرواية الاتية:

---

١١ انظر: دهقاني، سيد حسين تقوي، روش شناسي أهل بيت، ص ٣١٥ – ٣١٦.
١٢ البحراني، هاشم، البرهان، ج٢، ص٢٥٦.

عن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألا تخبرني من أين علمت وقلت: انّ المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك، ثمّ قال: "يا زرارة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل به الكتاب من الله؛ لأنّ الله عزّ وجل يقول: (فاغسلوا وجوهكم) فعرفنا أنّ الوجه كله ينبغي أن يغسل. ثمّ قال: (وأيديكم إلى المرافق) فوصل اليدين إلى المرفقين بالوجه، فعرفنا أنّه ينبغي لهما أن يغسلا إلى المرفقين. ثم فصل بين الكلامين فقال: (وامسحوا برؤوسكم) فعرفنا حين قال: (برؤوسكم) أنّ المسح ببعض الرأس لمكان الباء، ثمّ وصل الرجلين بالرأس، كما وصل اليدين بالوجه، فقال: (وأرجلكم إلى الكعبين) فعرفنا حين وصلها بالرأس أنّ المسح على بعضها...".[١٣]

فقد استفاد الامام عليه السلام من اللغة والمعنى الوارد لحرف الباء في اللغة لتفسير الآية والخروج بنتيجة فقهية، وهي كيفية الوضوء.

٣ – الروايات التبيينية، وهي الروايات التي بيّنت ما أجمل من القرآن من العقائد والأحكام الشرعية، مثل الروايات الاتية التي بيّنت عدد ركعات الصلوات اليومية؛ باعتبارها من الأمور التي لم يحددها القرآن بل أجملها وترك بيانها إلى الرسول. فهمّ أهل البيت وبخاصة الرسول صلى الله عليه وآله ببيانها مفصلاً. وممّا يندرج ضمن هذه الطائفة من الروايات هي الروايات التي وسّعت مفهوم الخمس وجعلته شاملاً لكلّ فائدة وكسب يحصل عليه الإنسان، كالرواية الآتية:

عن سماعة، قال: سألت أبا الحسن صلى الله عليه وآله عن الخمس، فقال: "في كلّ ما أفاد الناس من قليل أو كثير".[١٤] فالامام في هذه الرواية عمّم الخمس ووسّع نطاقه ليشمل كلّ فائدة مع أنّ الوارد في القرآن هو الخمس في الغنائم الحربية فقط كما هو الظاهر من مفردة الغنيمة.

٤ – الروايات التأويلية أو التطبيقية، ويراد منها الروايات التي بيّنت الموضوعات والمصاديق التي يمكن ان تجري فيها الآيات بعد نزولها، مثل تأويل أهل الذكر بأهل البيت عليهم السلام؛ باعتبار علمهم وفضلهم على الناس، كما في الحديث الآتي:

عن الوشّاء، قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت له: جعلت فداك (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) فقال: "نحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون".[١٥]

١٣ االمصدر السابق، ج٢، ص٢٥٦.
١٤ االمصدر نفسه، ج٢، ص٦٩٠.
١٥ المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٢٣.

ويعزو هذا التقسيم إلى تقسيم وظائفهم في مجال تفسير القرآن وبيانه، إذ يرى أنّ وظائفهم في هذا المجال أربعة، هي: بيان التنزيل والتفسير والتبيين والتأويل.

ملاحظات على تقسيمات الشيخ بهجت بور

أولاً: حسب تتبعنا يعدّ هذا التقسيم تقسيماً امتاز به الاستاذ، ولم يسبقه به أحد غيره.

ثانياً: ليس شاملاً لموارد مثل ذكر الناسخ والمنسوخ وفضائل السور، مع أنّهما من الموارد والمجالات التي ولجها أهل البيت عليهم السلام بل جلّ المفسرين، وقد دوّنوها في كتبهم التفسيرية.

لكن يمكن القول بشمول هذا التقسيم للموارد المذكورة؛ باعتبار أنّها تندرج تحت عنوان التفسير الكلي، فإنّه قد يطلق التفسير على تحديد الناسخ والمنسوخ، إلاّ أنّ هذا تكلّف لا داعي له، لكن قد لا يكون مريداً لحصر المجالات التفسيرية بالموارد المذكورة، عندئذ يتحوّل الإشكال إلى نحو آخر، وهو عدم سرده لجميع المجالات التفسيرية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

خصائص المجالات الأربعة

لكلّ من المراحل والوظائف التفسيرية الأربعة خصائص يمكن اجمالها بالموارد الآتية:

١ – كون التنزيل (ذكر شأن النزول) قد يصدر من أيّ من الصحابة وإن لم يكن ذا باع في التفسير ولا ذا أرضية علمية قوية؛ لأنّ التنزيل عبارة عن ذكر الملابسات التاريخية والظروف التي نزلت فيها الآية أو الآيات، ومن الواضح أنّ هذا لا يستدعي علماً وافراً، بل يكفي نفسه معايشة الحادث، لذلك قد يكون الناقل لشأن النزول هو الشخص الذي نزلت فيه الآية، وقد يكون من عوام الناس. وعليه، لا يشترط في نقل شأن النزول غير الصدق.

شأن أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال شأن باقي الصحابة، لكنّهم قد يختلفون في أنّهم أكثر دقّة، ولا يحتمل نقلهم الخطأ (وفق رؤية الشيعة في عصمتهم)، مع أنّ باقي الصحابة يحتمل فيهم الخطأ، وشأنهم في هذا شأن رواة باقي الأخبار والقضايا الاسلامية، من حيث احتمال الخطأ والكذب.

٢ – يشترط في التفسير أن يكون المفسّر ذا علم واف يؤهله للقيام بهذه المهمة، وذلك عن طريق اكتساب العلوم ذات الصلة بالتفسير، وقد مارس بعض الصحابة هذا الدور؛ باعتبارهم قد تعلّموا تفسير الآيات وتلقّوه عن الرسول، واستمرّ هذا الدور يتناوب عليه علماء العصور حتّى الآن، وهو

أمر يتسنّى لكلّ من تلقّى وأتقن العلوم التي يستلزمها التفسير من اللغة والبلاغة والنحو والصرف والفقه والحديث وغيرها من العلوم التي ذكرت شروطاً ينبغي لكل مفسر أن يحظى بها.

إنّ أهل البيت ﷺ قد مارسوا هذا الدور، كما هو واضح، ورواياتهم في هذا المضمار غير قليلة. وعلومهم الدينية التي كانوا يحملونها وتلقوها جيلاً عن جيل تؤهلهم لهذه المهمة، فإنّهم كانوا أساتذة العلوم الدينية، ومنهم نهل الكثير من معاصريهم. ولا شك في ذلك.

٣ – التأويل بمعنى ذكر المصاديق أمر يمكن أن يمارسه المفسّر المتمرّس، على أن يكون ذا إلمام واسع بالموارد التي يريد تطبيق الآية وجريها عليها، إضافة إلى إلمامه بمفهوم الآية. وهذا ممّا تقتضيه طبيعة التطبيق، لا في القرآن فحسب بل في كلّ مفهوم يراد تطبيقه على مورد خاص، فإنّه يقتضي إلمام المطبّق بالمفهوم وبالمورد الخارجي كليهما. وروايات أهل البيت ﷺ التفسيرية مليئة به، ولا شكّ في أهليتهم له.

٤ – التبيين، وهو نفسه الذي دعاه حسين تقوي دهاقاني بالدور التاسيسي، فهو شأن خاص بالرسول ﷺ وهو ممّا اتفق عليه الشيعة وأهل السنة؛ لأنّه مرتبط بالوحي، ولا يعلمه إلاّ من ارتبط به، على أنّ الشيعة ترى أهل البيت ﷺ امتداداً للرسول، ولهم ما كان له من دور في غير النبوة، كما أنّهم يعتقدون بأنّ الرسول قد أودع أهل البيت ﷺ كتاباً يسمونه (الجامعة) يتضمّن مجمل البيانات والتبيينات من الأحكام والتشريعات التي لم يحن دور بيانها عهد الرسول، وقد أوكل أمر بيانها إلى أهل البيت ﷺ. ومن هنا وردت الكثير من الأحاديث عنهم تضمّنت أحكاماً لم تبيّن عهد الرسول، وهي في الحقيقة أحكام كان الوحي قد بلّغها رسول الله لكنّه أرجأ بيانها للناس إلى عهد متأخر وبعد وفاته، كما يرون الشيعة ذلك.

انّ الجامعة (من وجهة نظر الشيعة) التي هي عبارة عن إملاءات الرسول ﷺ على علي ﷺ للأحكام بل العقائد وتفاصيلها التي ينبغي بيانها في أوقات مستقبلية وتدريجياً، لم يحن وقت بيانها عهد الرسول ﷺ.

ومن المفروض أنّ كثيراً من اختلاف الشيعة وأهل السنة في التفسير وبيان الأحكام الفقهية وغيرها من الشؤون الدينية يعود إلى ظاهرة الجامعة. لكن المشكلة في هذا الموضوع هي أنّها لم تنل الدراسة الكافية والوافية لا من المتقدمين ولا من المتأخرين. وهي ما زالت في هالة من الإبهام تنتظر الدراسة والتحقيق برسائل واطروحات علمية.

مقارنة الآراء

كلّ ما تقدّم من آراء عن مجالات تفسير أهل البيت عليهم السلام يعدّ صحيحاً، ولا شبهة في صدقه، لكن المشكلة في انّها آراء قد لا تبدو شاملة ولا تغطّي جميع الروايات التفسيرية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، فكلّ منها وحده لا يمكنه أن يكون كاملاً لكنّه يكمّل الآخر على الرغم من احتوائه نقصاً من حيث عدم الشمول. مثلاً رأي هدى أبو طبرة ورجبي لم يتضمّنا دور التبيين والتأسيس، مع أنّه محرز لأهل البيت عليهم السلام، إلاّ أنّه ورد لدى كلّ من الشيخ بهجت وحسين تقوي دهاقاني. وإنّ رأي الشيخ بهجت لم يتضمّن التفصيل المشهود في رأي رجبي وأبي طبرة من حيث احتواء تفسير أهل البيت عليهم السلام لروايات الناسخ والمنسوخ و... هذا مضافاً إلى الإجمال الذي يكتنف وجهة نظر رجبي، من حيث صنف التفسير كبيان الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وغيرها، فلم يفصّل بالنحو الوارد في رأي هدى أبي طبرة أو باقي الآراء، كما هو واضح.

ومقارنة هذه الآراء تحكي تأكيد كل أصحابها للمجالات التي ولجها أهل البيت عليهم السلام، ويبدو اشتراكها مع المجالات التي ولجها المفسرون إلاّ في موارد كما ستأتي في التحليل والاستنتاج.

تحليل واستنتاج

أولاً: التفاسير المهمّة والأساسية التي اعتمدت المأثور عن أهل البيت عليهم السلام هي (تفسير العياشي) و (تفسير القمي) و (البرهان) لهاشم البحراني و (نور الثقلين) لعبد علي الحويزي. وهذه المصادر هي المعتمد الأساس لكل دراسة لهذا التفسير؛ لكونها جمعت الروايات المشتتة في مكان واحد، وسهّلت أمر المحققين في هذا المضمار. لكن يبدو رغم هذا وجود روايات تفسيرية أخرى لم تدوّن في هذه المصادر، وقد عكفت بعض المؤسسات على استدراك تلك الروايات وإضافتها إلى التفاسير المذكورة، لكن حتّى الآن لم يصدر عنها شيء في هذا المجال.

ثانياً: شأن الروايات التفسيرية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام شأن باقي الروايات التي ينبغي اخضاعها لمعالجة علماء الإسلام في علوم عديدة مثل الدراية والرواية والرجال وغير ذلك لأجل تأكيد صحتها أو سقمها، ونحن هنا نغضّ النظر عن هذا الموضوع، ونفرضها روايات معتبرة إلى حد ما؛ لأنّا لا ننظر إلى كلّ منها بنحو انفرادي بل ننظر إليها بشكل عام. ونغضّ النظر كذلك عن

الروايات التي تشكّك في سلامة القرآن من التحريف فإنه لم يؤثر عن علماء الشيعة من أيّد صحّتها بل هم بين ناف لها أو مؤول، وإذا كان هناك من قال بالتحريف فقد عدل عن رأيه لاحقاً، كما بالنسبة إلى الشيخ النوري، وقد فصّل هذا الموضوع الشيخ محمد هادي معرفة وغيره.[١٦]

ثالثاً: ما يمكن استنتاجه من مجمل الآراء التي وردت في مجالات تفسير أهل البيت ﷺ هو ولوج أئمة أهل البيت ﷺ في كلّ مجالات التفسير من شأن النزول والتفسير والتأويل وغير ذلك، وكل ما ورد من الآراء المذكورة يصدق في تفسير أهل البيت ﷺ، فالملاحظ في تفسيرهم الجانب الفقهي والعقدي والعلمي واللغوي وكلّ ما يمكنه أن ينضوي تحت عنوان التفسير. ويضاف إلى ذلك هو التبيين، الذي اختص بالرسول ﷺ عند أهل السنة، وشمل أهل البيت ﷺ عند الشيعة. وهذا المقدار مسلّم به فيما يخصّ اختلاف تفسيرهم عن باقي التفاسير.

ونضيف إلى هذا اختلافاً آخر، وهو أنّهم أضافوا إلى التفسير مجالاً قلّما يلج فيه المفسرون، وهو تطبيق الآيات على مجريات الأمور في عهود خاصة وبالخصوص عهد الأئمة ﷺ لأجل تأصيل وجهة نظرهم السياسية والاجتماعية تجاهها. وكذلك مجريات الأمور في المستقبل وبخاصة تلك التي تتعلّق بظهور الإمام المهدي ﷺ.

وفي هذا المضمار يمكن تقسيم تفسير أهل البيت ﷺ إلى الصنفين الآتيين:

التفسير المرحلي[١٧]، وهو التفسير الذي ينظر فيه إلى مصاديق ومجريات القرآن في عصر محدّد مثل عصر الأمويين أو عصر العباسيين أو عصر الظهور، وهذا تفسير خاص بتلك المرحلة لا يمكن القول بشموليته وصدقه، ولا يمكن القول بإرادة تفسير الآية بنحو مطلق ومنذ نزولها، بل هو تفسير ناظر إلى مجريات الأمور في عصر محدّد وتطبيق آيات عليه؛ وذلك لتأصيل وجهة نظرهم تجاه مجريات الأمور في عهدهم من حيث كونها شرعية ومطابقة للقرآن ولا تتنافى مع المفاهيم القرآنية على أقل تقدير.

التفسير بذكر المصاديق هو تفسير مرحلي وخاص بزمن معيّن، فهو يعني ذكر مصاديق القرآن في تلك البرهة من الزمن وتلك المرحلة من مراحل حياة القرآن. وعليه لا يمكن اعتبار هذا الصنف من التفسير عاماً وشاملاً ومأخوذاً النظر فيه إلى الآية بنحو العموم، بل ناظر إلى الآية بلحاظ الظروف الزمكانية.

١٦ انظر: معرفة، محمد هادي، صيانة القرآن من التحريف، وطاهري خرم آبادي، تحريف القرآن، اسطورة أم واقع؟ ترجمة: تحسين البدري.
١٧ اصطلاح التفسير المرحلي وغير المرحلي وارد منا، ولا أعلم ما إذا كان قد استخدمه غيرنا أم لا.

التفسير غير المرحلي، وهو التفسير الذي لم ينظر فيه إلى زمان ولا مكان محدّد ويعالج ابهامات الآيات ومفاهيمها وتفسيرها كما نزلت في عهد النزول دون النظر إلى مصاديقها، وهو تفسير يمنحنا معطيات عامة غير مقيدة بأمر من زمن أو مكان أو ما شابه ذلك من ظروف.

والملاحظ في تفسيرهم هو كثرة المواد المأثورة في التفسير المرحلي، وكثرة ورود المجاري والمصاديق لآيات القرآن، وهو مجال لم يلجه المفسرون إلاّ نادراً. بعكس التفسير غير المرحلي الذي هو الأمر الأساس الذي شغل أذهان المفسرين.

كما أنّ أهل البيت عليهم السلام ركوا آثاراً قيمة في تفسير القرآن غير مقيدة بزمن ولا مكان، ما زالت تغطّي احتياجاتنا في التفسير وترفع بعض ابهامات هذا الكتاب، تركوا كذلك آثاراً تفسيرية مرحلية ومقيدة في الظروف التي عاصروها أو عاشوها.

رابعاً: إنّ تفسير أهل البيت عليهم السلام لم يعتمد منهجاً واحداً، بل نراه أحياناً يعتمد المنهج الاجتهادي وأحياناً أخرى يعتمد منهج القرآن بالقرآن أو مناهج أخرى – وهذا ما ناقشناه في مقال آخر[١٨] – ورغم اختيار جميع مجالات التفسير إلاّ أنّ تفسيرهم لا يخلو من الملاحظات الآتية بالقياس إلى باقي التفاسير:

١ – كونه غير شامل لكلّ القرآن، فنجد أنّ هناك انتقاء للآيات والسور ولا توجد لكل آية وسورة واردة في القرآن تفسير يمكن نسبته إلى الأئمة عليهم السلام. كما هو مشهود في التفاسير المأثورة مثل (تفسير البرهان) لهاشم البحراني. فهو تفسير شامل بالنسبة إلى المجالات التفسيرية لكنّه غير شامل بالنسبة إلى مجمل القرآن.

وباعتبار فقدان التفسير المأثور عن أهل البيت عليهم السلام لكثير من الآيات نجد التفاسير الشيعية المهمّة مثل (الميزان في تفسير القرآن) لا تخلو – عند سرد الروايات المفسرة لآية ما – من روايات أهل السنة. لكونها مكمّلة للروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام وتملأ الفراغ الحاصل في المأثور عنهم. لكن هل العلاقة بين روايات الطائفتين (ذات الصلة بالتفسير) هي علاقة تكاملية متوافقة وتكمل احداهما الاخرى أو أنّ هناك علاقة أخرى تصل أحياناً إلى التضاد والتنافر؟ هذا ممّا يحتاج إلى دراسة مستقلة تحكي العلاقة في جزئياتها وعلى نطاق جميع الروايات.

١٨ انظر: البدري، تحسين، مناهج التفسير لدى أهل البيت، مجلة التوحيد، العدد ١١٩، ص ١٩٧.

وقد يكون هذا لوضوح الآيات والسور التي لم يرد فيها تفسير عنهم، وبخاصة عرب ومسلمي ذلك العصر. كما من المحتمل أنّ تفسيرهم للموارد غير المذكورة لم تصلنا برغم صدورها عنهم. ومن المحتمل كذلك أن طريقة تفسيرهم تعتمد على ما وردهم من أسئلة وشبهات في الآيات المفسّرة، ولم يبادروا بالتفسير ابتداءً. وهذا ممّا يحتاج إلى دراسة وتحقيق تاريخي للتأكّد من ملابسات تفسير أهل البيت ﷺ.

٢ – من الناحية الشكلية، لم يؤثر عن أهل البيت ﷺ السعي للتفسير الترتيبي بالنحو المأثور والمشهود عن المفسرين المعروفين، فلم يبتّ أحدهم بتفسير القرآن بدأ بالبسملة وانتهاء بسورة الناس. بل كان تفسيرهم انتقائياً حسب الحاجة، التي يقتضيها المجتمع أو حسب الأسئلة التي تردهم من طلبتهم وأفراد المجتمع. وقد تكون هناك عوامل واحتمالات أخرى هي التي أثّرت في تشكيل هذا التفسير. وهو أمر يقتضي دراسة مستقلّة لبيان السبب والملابسات والغموض الذي يكتنفه.

وقد لا يطرح هذا الموضوع في شأن تفسير أهل البيت ﷺ صلاً؛ لأنّ في عهدهم قد لا نجد من بتّ بتفسير القرآن بالنحو الذي أثرناه عن المفسرين الذين جاءوا في القرون اللاحقة والمتأخرة عن عهودهم مثل القرن الرابع والخامس وما بعدهما وطرح هذا الموضوع مثل طرح تساؤل: لماذا لم يؤلف أهل البيت ﷺ كتاباً فقهياً كما ألفناه عند الفقهاء في القرون المتأخرة للإسلام؟

كما لم نؤثر عنهم السعي للتفسير الموضوعي ودراسة مسألة وموضوع ما من وجهة نظر القرآن. هذا مستحدث جداً، ومن غير الصحيح توقّعه من الأئمة في القرن الثاني. فإنّ نشاطات من هذا القبيل ينبغي قياسها مع قرنائهم في عهودهم لا في العهود اللاحقة.

بل حتى مثل التفسير التجزيئي والجامع، فهذه أمور حصلت لاحقاً في العالم الإسلامي ولم تكن دارجة آنذاك لنتوقّعها من أهل البيت ﷺ. فإنّ التأليف على نحو كتاب وفي كلّ العلوم الاسلامية حدث لاحقاً، ولم تكن ظاهرة واسعة الانتشار على اقل تقدير في عهد الامام الصادق ﷺ مثلاً.

وكذلك التوجّه إلى المجالات الأدبية، التي ولجها مثل السيد قطب واية الله السيد فضل الله، فإنّ هذه الأمور لم تكن مألوفة، وهي من إبداعات العصور الحديثة في مجال التفسير. هذا مضافاً إلى انّ مهامهم لم تكن تستدعي التوجّه إلى الجانب الجمالي من القرآن بل التوجّه نحو المفاهيم المهمّة وموضع حاجة المجتمع آنذاك.

بالطبع، يمكن العثور على جذور لهذا الصنف من التفسير في رواياتهم، فإنّ هناك روايات تفسيرية يمكن حملها على هذا المجال التفسيري، مثل تلك التي تشبّه الإمام علي وفاطمة عليهما السلام بالبحرين، والحسن والحسين عليهما السلام باللؤلؤ والمرجان في الآية الكريمة: (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ... يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)[١٩]. فقد ورد: عن يحيى بن سعيد القطان، قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله عزّ وجلّ (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) قال: "علي وفاطمة بحران من العلم عميقان، لا يبغي أحدهما على صاحبه، (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) الحسن والحسين"[٢٠].

وعلى العموم، لا يمكن مقارنة تفسيرهم بالتفاسير المعاصرة والمتأخرة التي نشهدها حالياً، وما يمكننا مقارنته به هو تفاسير الصحابة والمعاصرين لهم مثل ابن عباس وأرباب المذاهب الاسلامية التي أُسست في القرن الثاني والعلماء الذين عاشوا في تلك العهود وصدرت عنهم تفاسير للقرآن، وملاحظتها تحكي عدم وجود اختلاف فاحش من ناحية المجالات التي تناولوها عند تفسيرهم للقرآن إلاّ في موضوع التبيين الذي سبق الكلام عليه.

خامساً: التنزيل من الموارد التي تضمّنها تفسير أهل البيت عليهم السلام، وباعتبار أنّ الإمام علي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام ممّن عاصروا الرسول صلى الله عليه وآله فنقلهم لشأن النزول ممّا يمكن قبوله كشهود، وشأنهم في هذا المضمار شأن باقي الصحابة ممّن شهدوا النزول. وهذا هو سرّ اختلاف شأن النزول أحياناً بين ما ورد عنهم وما ورد عن باقي المسلمين. فممّا يمكن أن يفسر به الاختلاف هنا هو اختلاف الشهود في النقل. أمّا باقي أئمة أهل البيت عليهم السلام، فشأنهم شأن باقي المفسرين والرواة من علماء الإسلام، فإنّهم ينقلون أسباب النزول نقلاً عن الشهود. وهذا لا نقاش فيه، وإذا كان هناك نقاش ففي ذكر بعض الأسباب التي وردت عنهم ولم نأثرها عن طرق الطوائف الأخرى من المسلمين. وكما هو واضح فهناك أقوال مختلفة في شأن نزول بعض الآيات، وذلك قد ينشأ عن اختلاف الشهود أو وضع الحديث أو ما شابه من الأسباب.

١٩ سورة الرحمن: ١٩ – ٢٢.
٢٠ البحراني، هاشم، البرهان، ج ٥، ص ٢٣٣.

سادساً: التفسير، وهو ممّا شهدناه في روايات أهل البيت عليهم السلام التفسيرية، وهي تتمتع بمرتبة عالية، لما يحظون به عليهم السلام من علم وقرب لمصدر الوحي، وهو الرسول صلى الله عليه وآله. وإذا كان هناك نقاش ففي تمييز مجالات الاختلاف بين هذه التفاسير ودراسة وجوه الاختلاف وترجيح ما يمكن أن يتوافق مع القرائن وما لا يتوافق...

سابعاً: تضمّن تفسيرهم تبيين الآيات، سواء الفقهية أو العقدية أو غيرهما. ولا شكّ أنّ التبيين منزلة تبنّاها الرسول صلى الله عليه وآله وقد اتفقت الطوائف الإسلامية على أنّ الكثير من الأحكام والاعتقادات قد أوكل الله بيانها إلى الرسول صلى الله عليه وآله، لكن مذهب الشيعة يذهب إلى نظرية (الجامعة) التي قد يبدو منها تخويل التبيين إلى الأئمة الاثني عشر عليهم السلام كذلك أو أنّهم ناقلون لتبيينات الرسول لم يفصح عنها في عصره وأوكلها في صحيفة لأهل البيت عليهم السلام. وهذا هو التبرير الوارد لتبيينات أهل البيت عليهم السلام في ما بعد عصر النزول.

من موارد التبيين التي لم نأثرها عن الرسول صلى الله عليه وآله ووردت عن أهل البيت عليهم السلام فقط هي تعميم الخمس إلى غير الغنائم الحربية، إذ تذهب المذاهب الإسلامية إلى اختصاص الخمس بالغنائم الحربية، بناء على الآية: (واعلموا انّما غنمتم من شيء فانّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى و...)[٢١] لكن الإمام الصادق عليه السلام عمّم الخمس ليشمل ما زاد عن مؤنة العام من أموال التجارة والصناعة وغيرهما، كما مرّت الرواية ذات الصلة.

ومنها كذلك تفسير آية الوضوء: (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)[٢٢] بمسح الرأس والرجلين دون غسلهما، كما هو المعروف عن أهل السنة. فلم ترد هذه التفاصيل عن الرسول صلى الله عليه وآله لكنّها وردت عنهم.[٢٣]

ثامناً: التأويل، وهو يشكّل جزءاً من تفسير أهل البيت عليهم السلام، ومع اختلاف معنى التأويل[٢٤] تختلف الفلسفة التي أدّت بأهل البيت عليهم السلام للدخول فيه، فإذا كان المراد من التأويل بيان المعنى الباطن للآيات، فهم أهل لهذا البيان، وقد مارسه الكثير من المفسرين وبخاصة ذوي التوجّه العرفاني أو المذاهب

٢١ سورة الانفال: ٤١.
٢٢ سورة المائدة: ٦.
٢٣ العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٩٠، البحراني، هاشم، البرهان، ج ٢، ص ٧٨.
٢٤ المعاني الواردة للتأويل غير قليلة بعضها يتساوق مع التفسير بعضها تقترب من التفسير وبعضها يكون التأويل فيها معنى باطنياً. انظر: معرفة، محمد هادي، التأويل في مختلف المذاهب والآراء، ص ٩ – ١٥١.

الباطنية، وبحكم أنهم يتمتّعون بمقام عرفاني كبير لذا فإن ذكر المعاني الباطنية أمرٌ غير بعيد عنهم.

وبناء على كون المراد منه ذكر مجاري الآيات وتطبيقاتها، فهو يعود إلى التفسير المرحلي الذي يمكن أن يمارسه العلماء العارفون بزمانهم، ولا مانع منه. كما أنّه مبني على رؤية أن القرآن يجري على طول الأزمان وغير مقيّد بزمن خاص، كما ورد هذا في الحديث الآتي:

عن أبي جعفر عليه السلام: "... ولو أنّ آية نزلت في قوم ثمّ ماتوا أولئك ماتت الآية إذاً ما بقي من القرآن شيء، انّ القرآن يجري من أوّله إلى آخره ما قامت السماوات والأرض، فلكل قوم آية يتلونها...".[٢٥]

التفسير الذي يذكر لهذا الحديث هو أنّ القرآن ذو مصاديق غير ثابتة بزمان ولا راكدة في عهد تنتهي بانتهاء العهد، بل هو كتاب ذو مصاديق في عهد النزول ومصاديق متكاثرة غير منتهية بزمان، وتستمر عملية التطبيق فيه ما دام الزمان.

إنّ فلسفة التطبيق في القرآن هي فرض حياة للقرآن واستمرار تلك الحياة باستمرار الزمان، وعدم اقتصار القرآن على زمان محدّد دون آخر.

تاسعاً: إنّ تنوّع مجالات التفسير لدى أهل البيت عليهم السلام، وشمولها الفقه والعقائد والتاريخ وغير ذلك، ومع ضمّ الكم الهائل من الروايات المأثورة عنهم التي تناولت شؤوناً غير التفسير مثل الأخلاق والمجتمع والكثير من العلوم، يحكي ضمنياً توجّههم لتأسيس مذهب شامل يضمّ مختلف الأبعاد والمجالات العلمية ذات الصلة بالاسلام. وهذا لا يتنافى مع غضهم النظر عن آيات غير قليلة لم يفسروها، فإنّ ذلك لا يؤثر في هذا التوجّه، وأساسيات تشكل مدرسة أو مذهب قد طرحوه من خلال الكمّ الوافر والمأثور من الروايات الواردة عنهم في مجالات شتّى تكفي أساساً لتكوين مدرسة فكرية معيّنة.

٢٥ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ٣٢٩.

الخاتمة:

بعد استعراض مجمل القضايا التي تخص مجالات التفسير فإنّ من أهمّ المصادر المعتمدة في تفسير أهل البيت عليهم السلام هي (تفسير العياشي) و (تفسير القمي) و (البرهان) لهاشم البحراني و (نور الثقلين) لعبد علي الحويزي. وفيما يخص دراسة الجانب المهم في هذا التفسير هو أنّهم ولجوا جميع الجوانب التي تناولها المفسرون من الشيعة وأهل السنة، وقد اختلف أهل البيت عليهم السلام عن باقي المفسرين في أنّهم تناولوا جانب التبيين الذي يختص بالرسول صلى الله عليه وآله عند أهل السنة ويشمل أهل البيت عليهم السلام عند الشيعة. مضافاً إلى تضمينهم الجانب التطبيقي للآيات، الأمر الذي قلّما يتعرّض له باقي المفسرين، وبخاصة ذلك الجانب الذي يتعلّق بالمستقبل وعصر الظهور.

وانّ كثيراً من الروايات تحكي تفسيراً لسؤال ورد عن أحد الصحابة. وهذا يعني أن تفسيرهم يعتمد مجالاً آخر، وهو الإجابة عمّا وردهم من أسئلة وشبهات في الآيات المفسّرة، ولم يبادروا بالتفسير ابتداءً. لكن هذا ممّا يحتاج إلى دراسة وتحقيق تاريخي للتأكّد من ملابسات تفسير أهل البيت عليهم السلام.

من جانب آخر، فإنّ التنزيل من الموارد التي تضمّنها تفسير أهل البيت عليهم السلام، وذلك باعتبار أنّ بعضهم عاصر التنزيل، وهو أمر غير مشهود عن باقي المفسرين.

وعلى العموم فإنّ تنوّع مجالات التفسير لدى أهل البيت عليهم السلام يحكي ضمنياً توجّههم لتأسيس مذهب شامل يضمّ مختلف الأبعاد والمجالات العلمية ذات الصلة بالاسلام.

المصادر:

أبو طبرة، هدى جاسم محمد. ١٤١٤ هـ، ق، ١٣٧٢ هـ، ش. المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم، حقيقته ومصادره وتطبيقاته. **ط١. قم:** مركز النشر لمكتب الإعلام الإسلامي.

البحراني، السيد هاشم الحسيني. ١٤١٦ هـ. ق. البرهان في تفسير القرآن: تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية. ط١. قم: مؤسسة البعثة.

تقوي دهاقاني، سيد حسين. ١٣٨١ هـ . ش. روش شناسى أهل بيت در تفسير، تأويل وتطبيق قرآن، با مقدمه استاد جعفري تبار، انتشارات فرهنك منهاج، جاب اول، تابستان.

رجبي، محمود. ١٣٨٣ هـ.ش. روش تفسير قرآن (بالفارسية). قم: مؤسسه بزوهشي حوزه ودانشكاه. جاب اول، زمستان.

السلمي، الامام ابي عبد الرحمن محمد بن الحسين الازدي. ٢٠٠١م، ١٤٢١. حقائق التفسير (تفسير السلمي): تحقيق: سيد عمران. ط١. بيروت: منشورات دار الكتب العلمية.

طاهري خرم آبادي. ٢٠٠٧. **(تحريف القرآن أسطورة أم واقع)**: تحقيق وترجمة: تحسين البدري. د.ط. قم: نشر المجمع العالم للتقريب بين المذاهب.

مجلة التوحيد، العدد ١١٩، من إصدارات منظمة الإعلام الإسلامي، طهران.

المجلسي، محمد باقر. ١٤١٣ هـ.ق. ١٩٨٣م. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. ط٢. بيروت: مؤسسة الوفاء.

معرفة، محمد هادي. ١٤٢٧ هـ. ٢٠٠٦م. التأويل في مختلف المذاهب والآراء. ط١. طهران: مركز التحقيقات والدراسات العلمية، التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

معرفة، محمد هادي. ١٤٢٨ هـ، ق. صيانة القرآن من التحريف. **ط٣. قم:** مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية.